شخصية العدد

عبد الرحمن فهمى
(١٨٧١ - ١٩٤٦)

أ. د. حمادة محمود إسماعيل

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

جامعة بنها

عبد الرحمن فهمى
(١٨٧١ - ١٩٤٦)

أ. د. حمادة محمود إسماعيل

"اننى لا أحتكم إلى إناس لا يعرفون حقيقة أعمالى وخدماتى التى قدمتها للقضية الوطنية، وتلك الأعمال لا يعرفها بجملتها أحد سواك، ولهذا فإننى سأحتكم إلى التاريخ " كانت تلك العبارة هى التى ذكرها عبد الرحمن فهمى "لسعد باشا زغلول" عندما دب الخلاف بينهما.

ولعل مركز تاريخ مصر المعاصر بدار الكتب والوثائق القومية يكون قد حقق أمنية عبدالرحمن فهمى حينما قال إننى سأحتكم إلى التاريخ حيث قام المركز بنشر مذكراته التى سرد فيها تاريخ مصر منذ لقاء ونجت فى ١٣ نوفمبر ١٩١٨ حتى وفاة سعد زغلول فى ٢٣ أغسطس ١٩٢٧. وهى مذكرات تختلف كثيرًا عن مذكرات سعد زغلول وغيره من الزعماء السياسيين، حيث اختفت (الأنا) السائدة فى مذكراتهم. واكتفى عبد الرحمن فهمى أن يذكر للتاريخ كل ما حدث أثناء هذه الفترة ولم يتحدث عن نفسه إلا قليلاً من خلال ٢٩ ملف يحتوى على ٣٠٥٥ ورقة.

وقد صدر العدد السابع منها والتى يرجع الفضل فى إخراجها إلى النور للمرحوم الأستاذ الدكتور يونان لبيب رزق ، غير أن المنية وافته فى١٥ يناير سنة ٢٠٠٨ وكان علينا أن نُكمل مسيرته فى استكمال ما تبقى منها .

ودائمًا عندما تحدث الثورات فى أى بقعة من العالم يُلاحظ أن من يتصدر المشهد شخصيات ممن ليس لديهم رؤية كاملة عن ماهية الثورة وخطورتها وطموحاتها ، كذلك توجد شخصيات تُحرك الأحداث من خلف الستار ويُعرضون أنفسهم لمخاطر المحاكمات التى لا يفلتون منها إلا صدفة، وهكذا كما قلنا فى كل بلاد الدنيا .

وعبد الرحمن فهمى واحدًا من تلك الشخصيات التى لعبت دورًا خطيرًا ومهمًا فى ثورة ١٩١٩ ؛ إذ تصدر المشهد الرئيسى فيها سعد زغلول الذى عندما علم بالثورة ناشد المصريين وهو فى مالطة بأن يتوقفوا عن ثورتهم التى لم يكن يتوقع حدوثها . على الجانب الأخر كان عبد الرحمن فهمى على رأس الجهاز السرى للثورة وأحد الشخصيات التى كان عليها أن تتصدر المشهد بثوريته وإيمانه بقضية الوطن واستقلاله، ولكنه أكتفى بدوره فى الجهاز السرى الذى عرَّضه للمحاكمة من قبل سلطات الاحتلال وبمباركة من الذين كانوا يتولون أمر إدارة البلاد ، وكاد حبل المشنقة أن يلتف حول عنقه .

وإيمانًا بهذا الدور الخطير الذى قام به عبد الرحمن فهمى فى الثورة بمناسبة صدور العدد السابع والأخير لمذكراته " يوميات مصر السياسية " وجدنا أن أبسط حقوقه أن نُعرف به وبمذكراته وأن يكون شخصية العدد فى مجلة "مصر الحديثة" التى ستصدر فى يناير سنة ٢٠١٦ .

وُلدَّ عبد الرحمن فهمى عام ١٨٧١، وتربى فى منزل شقيقه الأكبر محمد ماهر باشا الذى كان يعمل وكيلاً لنظارة الحربية، وكان صديقًا للخديوى عباس حلمى الثانى (١٨٩٢ – ١٩١٤)، تلك الصداقة كان كرومر يعتبرها السبب الرئيسى فى تحريض عباس ضد الاحتلال وسعى بكل جهده لنقل محمد ماهر من وكالة الحربية، وقد أثرت هذه البيئة عليه فدخل المدرسة الحربية التى تخرج منها سنة ١٨٨٨، وقد شارك فى الحملة التى أُعدت بقيادة الميجور "وينجت" للدفاع عن حدود مصر الجنوبية فى ١٣ أغسطس سنة ١٨٨٩ وقد أُصيب عبدالرحمن فهمى فى المعركة التى انتهت بانتصار الجيش فى معركة توشكى وعنتيبى .

ثم انتقل بعد ذلك للعمل فى حرس الخديوى وقد استمر فيه لمدة عام، ثم عمل ياوراً لمصطفى فهمى ناظر الحربية ثم ترك الخدمة فى الجيش المصرى، ونُقل ليُلحق بالعمل فى نظارة الدخلية كمأمور بعده مراكز للبوليس منذ شهر فبراير ١٨٩٦ ويشهد تاريخه خلال هذه المرحلة صداماته مع بعض كبار الموظفين

الإنجليز فى الإدارة المصرية . وأنتقل بعد ذلك للعمل فى الأوقاف فى أواخر نوفمبر ١٩١١ وخلال هذه المرحلة أصطدم بالخديوى عباس، بسبب رفضه لتلاعب الخديوى بأموال الأوقاف واستخدامها لصالح بعض الشخصيات المقربة منه عن طريق شراء الأفدنه الخاصة بهم بأسعار ضعف أسعارها الحقيقية، وكان أن اعترض عبد الرحمن فهمى على تنفيذ ذلك واعتبر أن واجبه الوظيفى يقتضى أن يُحافظ على أموال العجزة والمحتاجين بسبب قضية شراء أراضى لصالح الخديوى ، وبسبب هذه القضية أُحيل على المعاش سنة ١٩١٣ وظل بعيدًا عن خدمة الحكومة حتى وفاته .

أما عن الجانب الأخر من حياته فهو المرتبط بثورة ١٩١٩ ، فكل المصادر تُؤكد أنه شارك فى الثورة منذ بداية المقابلة بين سعد زغلول والمندوب السامى البريطانى ونجت فى ١٣ نوفمبر ١٩١٨؛ إذ لم يقتصر دور عبد الرحمن فهمى فى جمع التوكيلات لإثبات صفة الوفد الشرعية للتحدث باسم الأمة، بل إنه شارك برأيه فى الأعضاء الذين يجب أن يتكون منهم الوفد على أثر المناقشة التى كانت قد تمت بين سعد زغلول واثنين من أعضاء الحزب الوطنى لأعترضهم على صيغة التوكيل عندما طالبوا بضرورة أن يحتوى هذا التصريح على حق مصر فى الاستقلال التام.

وعرض عبد الرحمن فهمى على سعد باشا بأن المصلحة تقضى بأن يكون الحزب الوطنى ُممثلاً فى الوفد. حيث كان يؤمن بضرورة توحيد الكلمة وجمع صفوف جميع السياسيين تحت فكرة واحده، وهى حصول مصر على الاستقلال التام. مما سيكون له أثر كبير أمام السلطة الإنجليزية التى ستُواجه بتحالف جميع السياسيين ضدها وأيضًا أمام عامة الشعب الذى سيزداد قوة، عندما يجد أن جميع الساسه فى مصر يتحدون تحت مطلب واحد فيلتفون حولهم. ثم أُسند إليه منصب السكرتير العام للجنة الوفد المركزية التى تألفت فى أعقاب الإفراج عن الوفد بعد السماح له بالسفر إلى باريس .

ثم تأتى المرحلة الأهم من حياته وهى قيادة الجهاز السرى للثورة والذى بدأ تكوينه مع ميلاد الثورة، حيث كان عبد الرحمن فهمى قد اكتسب من خلال تعليمه العسكرى مقومات أثرت فى شخصية كثيرًا وأصبح يتمتع بعقلية تنظيميه وإدارية؛ ظهر ذلك فى نجاحه فى إدارة المديريات التى تولى مسئوليتها دون الالتجاء إلى مشورة المفتشين الإنجليز كما نمى قدراته القيادية التى برزت أثناء قيادة ثورة ١٩١٩ . مما جعل الأستاذ فتحى رضوان يصفة بأنه " كان المدبر الحقيقى والمخطط لثورة ١٩١٩"؛ إذ استطاع أن يُدخل أسلوب العمل السرى للثورة من خلال الجهاز السرى الذى كونه بالاشتراك مع مجموعة من الشخصيات التى اختارها بنفسه للعمل معه، كما ساعده هذا التعليم فى اكتساب صفة الكتمان الشديد، وهى احدى الصفات التى يجب أن تتوفر فى الرجل العسكرى ولذلك أحاط الجهاز السرى للثورة بالسرية التامة والذى عجز الإنجليز أمامها عن كشف أسرار الجهاز والقضاء عليه حتى بعد القبض عليه فى القضية الشهيرة (قضية المؤامرة الكبرى). والتى حُكم فيها عليه بالإعدام الذى خُفف إلى الأشغال الشاقة المؤبدة إلى أن صدر قرار العفو عنه فى وزارة يحيى إبراهيم سنة ١٩٢٣ بتدخل من سعد زغلول.

وتأكيدًا على اهتمام عبد الرحمن فهمى لمبدأ لم شمل الأمة المصرية، فقد اشترط عندما حضر إلى منزله فى شهر مارس ١٩٢٤ بعد الإفراج عنه نفر من طوائف العمال المختلفة وطلبوا أن يترأس نقاباتهم فكانت إجابته " إنى لا أقبل إلا أربع نقابات فقط فإن كان لابد من ذلك فليجمعوا شمل باقى النقابات فى القطر إليهم وعندئذ أقبل هذه الزعامة على ما فيها من مشاغل ومتاعب وسرَّت الفكرة فى صفوف العمال ورحبوا بها وقبل عبد الرحمن فهمى زعامتهم ونجح فى إنشاء أول اتحاد عام لنقابات العمال والذى نُشر فى جريدة اتحاد العمال فى ١٧ يوليه ١٩٢٤، فأستحق أن يُطلق عليه " زعيم العمال.

وقد تخوف الاحتلال من نجاح عبد الرحمن فهمى فى تجميع العمال فى

مصر واتحادهم تحت راية اتحاد واحد، وتأثيره فى توجيهم ليكون لهم دور خطير ومؤثر فى حزب الوفد كما كان فى ثورة ١٩١٩. فأستغلت حادث إطلاق الرصاص على "السيرلى ستاك" سردار الجيش المصرى وقبضت عليه فى ٢٧ نوفمبر ١٩٢٤ مع كلاً من وليم مكرم عبيد ومحمود النقراشى وعُومل معاملة المجرمين والأشقياء داخل المعتقل حتى أفرج عنه فى ١١يناير ١٩٢٥، وأعلن اعتزاله زعامة الحركة العمالية فى ٣١ يناير ١٩٢٥ حيث تأكد عبد الرحمن فهمى أن الاحتلال سوف ينتهز أى فرصة للايقاع به حيث ذكر فى مذكراته " لما قُبض على فى المرة الثانية عقب حادثة السردار توجه شخصى ذو حيثية وذو مكانه لدى المحتكين توجه وسأل هل يعتقد القوم باشتراكى فى حادثة السردار فأجبت سلبًا فقال ولماذا إذًا قبضتم عليه؟ فقيل له لأنه رجل خطر والسلطة المحلية لاترغب فى بقائه حرًا".

وجاء الخلاف بينه وبين سعد زغلول - وهو ما لايتسع المقالة للحديث عنه - ليعتزل بسببه العمل السياسى وهو يؤكد ما قلناه بداية أن تشهد الثورة تصدر من لا يؤمنون بالثورة !!

وبعيدًا عن المشهد السياسى فقد شهد تاريخه أنه كان برلمانيًا متميزًا فى برلمانات ١٩٢٤، ١٩٣٨ ،١٩٤٥. هذا فضلاً عن عمله بالصحافة عندما ترأس صحيفة " روزاليوسف " فى يناير ١٩٣٦ وهو ما أضاف إليه رصيدًا جديدًا .

غير أن أعظم ما تركه لمصر ولتاريخها الحديث تلك المذكرات المتميزة والتى تناول فيها تاريخ مصر السياسى فى فترة ما بين سنة ١٩١٨ ، وبين سنة ١٩٢٧ حيث طوى صفحات مذكراته بوفاة سعد زغلول فى ٢٣ أغسطس ١٩٢٧، وهى الوفاة التى مر عليها مرورًا لا يليق بسعد زغلول ، السبب الخلاف الذى استمر بين الأثنين وبسببه اعتزل عبد الرحمن فهمى العمل السياسى . . .